جمهورية مصر العربية	١٠ من صفر ١٤٤٠ هـ
وزارة الأوقاف	١٩ من أكتوبر ٢٠١٨م

(١)

معية الله (عز وجل)

وأثرها في تحقيق الأمن النفسي والسلام الإنساني

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن معرفة العبد بالله (عز وجل) أصل كل خير ، وسبب كل سعادة في الدنيا والآخرة ، فما أجمل أن يستشعر الإنسان معية الله (عز وجل) فيلتزم أمره ، ويجتنب نهيه ، ويقف عند حده ، ويأخذ بالأسباب ليصلح دنياه بدينه ، فيعيش في سلام مع نفسه ، وسلام مع أسرته ، وسلام مع عائلته ، وسلام مع جيرانه ، وسلام مع زملائه ، وسلام مع أصدقائه ، وسلام مع المجتمع ، وسلام مع الناس أجمعين .

ومما لا شك فيه أن استشعار العبد لمعية الله (عز وجل) يورثه الخوف والخشية في السر والعلن، ومراقبة الله (عز وجل) في جميع أحواله وشئونه، فالخوف من الله (عز وجل) طريق الصلاح والتقوى ، وهو الحصن الواقي من الزلل ، وسبب النجاة في الآخرة، حيث يقول الله (عز وجل) في الحديث القدسي: (وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن معية الله (عز وجل) لعباده على ضربين : معية عامة ، ومعية خاصة ، أما المعية العامة فهي اطلاع الله (عز وجل) على أفعال العباد، ورؤيته إياهم على كل حال، وفي كل وقت، ووصفت بالعامة لأنها تعمَّ جميع الخلق ، يقول سبحانه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، ويقول جل شأنه في بيان حال المنافقين: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا}.

وأما المعية الخاصة: فهي معية التأييد والحفظ والتوفيق والنصر، وهي خاصة بأنبياء الله ورسله وأوليائه، والصالحين من خلقه، وهي تلكم المعية التي أشار إليها القرآن الكريم في مواطن عدة، منها خطاب الله (عز وجل) لنبيين كريمين من أنبيائه –سيدنا موسى وسيدنا هارون (عليهما السلام)– حينما أرسلهما الله (عز وجل) إلى فرعون، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}، وهي المعية التي تحدث عنها موسى (عليه السلام) حين ظن قومه أن فرعون قد أدركهم هو وجنوده، وأن لا نجاة لهم من سطوته، فالبحر أمامهم وفرعون وجنوده من خلفهم، فصاحوا:{إِنَّا لَمُدْرَكُونَ } فأجاب سيدنا موسى (عليه السلام) بيقين الواثق في معية ربه ونصره وتأييده: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} .

وهي معية الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه الصديق (رضي الله عنه) في ليلة الهجرة، حيث يقول سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه): كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي الغَارِ فنَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا ، فَقَالَ: (يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا)، وفي هذا يقول الحق سبحانه: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

وإن من فضل الله (عز وجل) أن هذه المعية ممتدة لأمة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من بعده إكرامًا له (صلى الله عليه وسلم) ما داموا على العهد مع الله (عز وجل)، محافظين على دينهم، متمسكين بكتاب ربهم (عز وجل) وسنة نبيهم (صلى الله عليه وسلم)، محققين الجندية الحقيقية لله (عز وجل)، حيث يقول سبحانه: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}، ويقول جل شأنه: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}.

ولقد أخبر الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، أن معية النصر والتأييد والحفظ والتوفيق ينالها أصناف من عباده الذين رضي الله عنهم ، حيث يقول سبحانه: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}، ويقول عز وجل: {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}، ويقول جل شأنه: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، ويقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيما يبلغه عن رب العزة تبارك وتعالى: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي)، قال الأئمة والشراح (رحمهم الله) : في هذا الحديث تصريح بأن الله (عز وجل) مع عباده عند ذكرهم

له، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إليهم برحمته ، ويمدهم بتوفيقه وتسديده، وهذه معية حاصلة للذاكر على الخصوص بعد دخوله مع أهل المعية العامة ، وذلك يقتضي مزيد العناية ، وموفور الإكرام له والتفضل عليه .

ويتجلى أثر هذه المعية في كونها تبعث السكينة والطمأنينة في قلب العبد؛ لأنه يعلم أن الله مطلع عليه، يراه في كل أحواله، فتراه محبًا للخير، رحيمًا ، ودودًا ، سهلاً، هينًا ، لينًا، يألف ويؤلف مع الناس أجمعين، لا يجزع ، ولا يضيق ، ولا ييأس ، ولا يحقد ، ولا يحسد، ولا يغش، ولا يخون، مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)، وبهذا يعيش الإنسان في سلام فيما بينه وبين نفسه ، وبينه وبين مجتمعه ، وبينه وبين الإنسانية ، بل الكون كله ، فمن كان مع الله (عز وجل) كان الله معه ، ومن كان الله (عز وجل) معه فلا يحزن ، ولله در قائل:

إذا صحَّ عونَ الخالقِ المرْءَ لم يجدْ عسيرًا من الآمالِ إلَّا مُيسَّرَا

ولله در رابعة العدوية حيث تقول:

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

ولا يخفى على عاقل أن أعلى درجات السلام النفسي أن يكون الإنسان منصفًا للآخرين من نفسه يعمل في إطار الحقوق المتكافئة المتبادلة، ويطبق عن قناعة مبدأ الحق والواجب، فالعلاقة بين الرجل والمرأة مثلًا تقوم على الحقوق المتبادلة، يقول الحق سبحانه: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه

وسلم) : {أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ}.

ومن أدرك أن الله (عز وجل) معه فلا يمكن أن يقتل ، أو يسرق ، أو يفسد ، أو يكذب ، أو يغدر ، أو يخون ؛ لأنه يدرك أن الله (عز وجل) معه يراقبه حيث كان ، يقول الحق سبحانه في الحديث القدسي: (ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ) ، ولن يؤدي ما عليه من واجبات وينصف الناس من نفسه، إلا من استحضر في كل أقواله وأفعاله وأحواله رقابة الله (عز وجل) وتمثل أمام عينيه قول الحق تبارك وتعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}، وقوله سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، وهذا هو الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين، (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

إذا ما خلوْتَ الدّهرَ يوْمًا فلا تَقُلْ خَلَوْتُ ولكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
ولاَ تحْسَبَنَّ اللهَ يغفِلُ ساعة وَلا أنَ مَا يخفَى عَلَيْهِ يغيب

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إخوة الإسلام:

إن استشعار العبد معية الله (عز وجل)، واستحضاره لعظمته، يحقق أعلى درجات التعايش السلمي، والأمن المجتمعي؛ لأن العبد إذا عَلِم عِلْم اليقين أنه لا يغيب عن نظر الله (عز وجل) يستقيم سلوكه، ويحسن خلقه، فتراه إنسانًا سويًّا في شخصيته، منضبطًا في أفعاله وتصرفاته ومعاملاته فلا يتجرأ على ظلم أحدٍ، ولا الاعتداء على أحدٍ، ولا على أكل مال أحد فيصبح المجتمع ويمسي والدماء مصانة، والأعراض والأموال محفوظة، وترى العدل مع القريب والبعيد على حد سواء، والوفاء بعهد الله مع الجميع المسلم وغير المسلم، الصديق والعدو ، وإقامة الكيل والميزان بالقسط، والبعد عن كل ألوان الاستغلال والتطفيف والغش والخداع ، مما يحقق أعلى درجات السلام الإنساني ويعيش الناس حياة آمنة في كل جوانبها، وهذه هي رسالة الإسلام ، فالإسلام خير كله ، عدل كله، رحمة كله، سلام كله .

ومن المواقف التي خلدها القرآن الكريم موقف سيدنا يوسف (عليه السلام) حين راودته امرأة العزيز عن نفسه ، وهو شاب في ريعان شبابه ولكنه يعلم أن الله (عز وجل) مطّلعٌ عليه ، يرى مكانه ، ويسمع صوته فقال فيما حكاه القرآن الكريم عنه: {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} ، ولقد حكى لنا القرآن الكريم –أيضًا– استعصام نبي الله يوسف (عليه السلام) واستمساكه بحبل الله ، فقال على لسان امرأة العزيز ، وهي تعلن براءة يوسف مما نُسب إليه: {وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} .

وفي صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار في جبل ، فانحطت صخرة على باب الغار فاغلقته عليهم ، فقال بعضهم لبعضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللهَ أن يُفْرُج عَنْكُمْ ، فرأينا الأول يتضرع إلى

الله (عز وجل) ببره لوالديه قائلًا: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لاَ أَغبِقُ قبْلهَما أَهْلاً وَلا مالاً – أي لا أسقي الحليبَ أحدًا قبلهما– فنأَى بِي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْمًا فَلمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحلبْت لَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمِيْنِ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِى أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمي فَاسْتَيْقظَا فَشَربَا غَبُوقَهُمَا.

ورأينا الثاني يتضرع إلى الله (عز وجل) بتعففه عن ارتكاب الفاحشة قائلًا: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا.

ورأينا الثالث يستثمر مال الأجير له ؛ خشية ومراقبة لله (عز وجل) ، فقال : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، وخَرَجُوا يَمْشُونَ .

نسأل الله (عز وجل) أن يرزقنا حسن مراقبته ، وأن يكرمنا بفضله وكرمه إنه ولي ذلك والقادر عليه .